كيف تكونين ناجحةً في معاملة الوالدين

oberkandi.com

obeikandl.com

كيف تكونين ناجحةً في معاملة الوالدين[1]

أحب العمل إلى الله بر الوالدين:

لقد أمر الإسلام ببر الوالدين وجعل برهما أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام بعد الشهادتين؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله عزَّ وجلَّ؟ قال: «**الصلاة على وقتها**». قال: ثم أي؟ قال: «**ثم بر الوالدين**»[2] بل قرن الله تعالى الإحسان إلى الوالدين بعبادته وتوحيده.

وكما أمر الإسلام ببر الوالدين وقرنه بعبادة الله فقد حرَّم عقوق الوالدين وجعله من أكبر الكبائر وقرنه بالإشراك بالله؛ قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟... الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...**»[3].

فالمرأة التي تريد النجاح في معاملة الوالدين يجب عليها اتباع ما أمر الله ورسوله به من برهما وتجنب ارتكاب ما نهى الله ورسوله من عقوقهما؛ وقد أرشد الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ إلى الطرق التي تنجح فيها المرأة في معاملة الوالدين وبرهما فقال الله تعالى: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾[4].

أما قول الله تعالى ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ**﴾ أي أمر وألزم وأوجب.. أمر الله سبحانه بعبادته وتوحيده وجعل بر الوالدين مقرونًا بذلك، كما قرن شكرهما بشكره فقال

---

(١) راجع: تفسير الآيات في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥ / ١٠، ١٢٠ / ١٥٥-١٦١، ١٤/ ٤٣- ٤٥. وفي ظلال القرآن لسيد قطب ٤ / ٢٢٢١-٢٢٢٢، وفتح الباري للعسقلاني ١٠ / ٤٠٣- ٤٠٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب البر والصلة.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر.

(٤) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣-٢٤.

obeikandi.com

تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرِ﴾[1]. والمعنى: قلنا له أن اشكر لي ولوالديك. قيل: الشكر لله على نعمة الإيمان، وللوالدين على نعمة التربية. وقال سفيان بن عيينة: من صلَّى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات فقد شكرهما.. قال العلماء: فأحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والإحسان والتزام البر والطاعة له والإذعان من قرن الله الإحسان إليه بعبادته وطاعته وشكره بشكره وهما الوالدان.

وقوله ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا﴾ خص حالة الكبر؛ لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى برِها لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر؛ فألزم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل؛ لأنهما في هذه الحالة قد صارا كلاً عليها، فيحتاجان أن تلي منهما في الكبر ما كانت تحتاج في صغرها أن يليا منها؛ فلذلك خص هذه الحالة بالذكر. فالوالدان يحملان أذى ولدهما وهو صغير راجين حياته، وهو إن حمل أذى والديه في كبرهما رجا موتهما.

وأيضًا فطول المكث للمرء يوجب الاستثقال للمرء عادة ويحصل الملل ويكثر الضجر فتظهر غضبها على أبويها وتنتفخ لهما أوداجها، وتستطيل عليهما بدالّة البنوة وقلة الديانة، وأقل المكروه ما يظهر بتنفسها المتردد من الضجر.

وقد أُمرت أن تقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة، وهو السالم عن كل عيب فقال: ﴿فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ فأول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب ألا يند من البنت ما يدل على الضجر والضيق، وما يشي بالإهانة وسوء الأدب، أي لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم، حتى ولا التأفف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ؛ وقد قيل: لو علم الله من العقوق شيئًا أردأ من «أف» لذكره. وإنما صارت قولة «أف» للأبوين أردأ شيء؛ لأنها رفضتهما رفض كفر النعمة، وجحدت التربية

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

وردت الوصية التي أوصاها في التنزيل. و«أف» كلمة مقولة لكل شيء مرفوض؛ ولذلك قال إبراهيم لقومه: «أف لكم ولما تعبدون من دون الله» أي رفض لكم ولهذه الأصنام معكم. قال رسول الله ﷺ: «**رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه**» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من **أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة**»[1]. فالسعيدة التي تبادر اغتنام فرصة برهما لئلا تفوتها بموتهما فتندم على ذلك. والشقية من عقَّتهما، لا سيما من بلغها الأمر ببرهما.

﴿ **وَلَا تَنْهَرْهُمَا** ﴾ النهر: الزجر والغلظة. قال رسول الله ﷺ: «**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات**»[2]؛ قيل: خص الأمهات بالذكر وإن كان عقوق الآباء عظيمًا؛ لأن عقوقهن أقبح أو إليهن أسرع من الآباء لضعف النساء، ولينبه على أن بر الأم مقدم على بر الأب في التلطف والحنو ونحو ذلك. فهو من تخصيص الشيء بالذكر إظهارًا لعظم موقعه؛ قال الله تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهراً**﴾[3]؛ فقد قاست الأم بسبب حملها مشقة وتعبًا من وحم وغثيان وثقل وكرب وأرق وتغيرات نفسية وبدنية إلى غير ذلك مما تناله الحامل من التعب والمشقة، ووضعتها بمشقة أيضًا من الطلق وشدته وآلام الولادة ومعاناتها، ثم أرضعتها وهي في سن الرضاعة وقامت على خدمتها ورعايتها وتعبت وسهرت ليلها في ذلك.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، مَن أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**» قال: ثم مَن؟ قال: «**ثم أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**ثم أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**ثم أبوك**»[4].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر.
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة.

وقال النبي ﷺ: «**رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**»[1]؛ لأنه تعالى أمر أن يطاع الأب ويكرم، فمن امتثلت أمر الله فأطاعت والدها وأكرمته فقد أطاعت الله فرضي عنها، ومن خالفت أمر الله فأغضبت والدها وأهانته فقد أغضبت الله فغضب عليها، وهذا فيما ليس في معصية الخالق. وهذا وعيد شديد يفيد أن العقوق كبيرة. وقال ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه... وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه...**»[2].

﴿ **وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** ﴾؛ وهي مرتبة أعلى إيجابية أن يكون كلامها لهما يشي بالإكرام والاحترام؛ أي قولاً لينًا لطيفًا، مثل: يا أبتاه ويا أماه، من غير أن تسميهما وتكنيهما؛ قال عطاء. وقال ابن البداح التجيبي: قلت لسعيد بن المسيب كل ما في القرآن من بر الوالدين قد عرفته إلا قوله: ﴿ **وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** ﴾، ما هذا القول الكريم؟ قال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ.

﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ** ﴾؛ هنا يشف التعبير ويلطف، ويبلغ شغاف القلب وحنايا الوجدان. فهي الرحمة ترق وتلطف حتى لكأنها الذل الذي لا يرفع عينًا، ولا يرفض أمرًا. وكأنما للذل جناح يخفضه إيذانًا بالسلام والاستسلام. فهذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما والتذلل لهما تذلل الرعية للأمير والعبيد للسادة؛ وضرب خفض الجناح ونصبه مثلاً لجناح الطائر حين ينتصب بجناحه لولده.. فينبغي بحكم هذه الآية أن تجعل المرأة نفسها مع أبويها في خير ذلة، في أقوالها وسكناتها ونظرها، ولا تُحِدَّ إليهما بصرها فإن تلك هي نظرة الغاضبة.

﴿ **وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً** ﴾؛ فهي الذكرى الحانية، ذكرى الطفولة الضعيفة يرعاها الوالدان، وهما اليوم في مثلها من الضعف والحاجة إلى الرعاية

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥٤٩.
(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٧١.

والحنان، وهو التوجه إلى الله أن يرحمهما فرحمة الله أوسع، ورعاية الله أشمل، وجناب الله أرحب، وهو أقدر على جزائهما بما بذلا من دمهما وقلبهما مما لا يقدر على جزائه الأبناء. فقد أمر الله تعالى عباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم.

طرق أخرى لبر الوالدين:

ومن البر بالوالدين والإحسان إليهما ألا تتعرض لسبهما ولا تعقهما؛ فإن ذلك من الكبائر بلا خلاف، وبذلك وردت السنة الثابتة؛ قال رسول الله ﷺ: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**» قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟، قال: «**يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**»[1]؛ فإن كان التسبب إلى لعن الوالد من أكبر الكبائر فالتصريح بلعنه أشد.. وقوله «وكيف يلعن الرجل والديه» هو استبعاد من السائل؛ لأن الطبع المستقيم يأبى ذلك، فبيَّن في الجواب أنه وإن لم يتعاط السب بنفسه في الأغلب الأكثر لكن قد يقع منه التسبب فيه وهو مما يمكن وقوعه كثيرًا.

ومن برهما بعد موتهما الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما بعدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا رحم للولد إلا من قبلهما. وهذا كله في الأبوين المؤمنين، وقد نهى القرآن عن الاستغفار للمشركين الأموات ولو كانوا أولي قربى.

وعلى المرأة التي تريد النجاح في معاملة والديها ومن ثَم النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة وكسب الأجر العظيم من الله تعالى أن تشفق بهما وتتذلل لهما تذلل الإماء للسادة.. وأن تترحم عليهما وتدعو لهما، وأن ترحمهما كما رحماها وترفق بهما كما رفقا بها؛ إذ ولياها صغيرةً جاهلةً محتاجةً فآثراها على أنفسهما، وأسهرا ليلهما، وجاعا واشبعاها، وتعريا وكسواها، فلا تجزيهما إلا أن يبلغا من الكبر الحد الذي كانت فيه من الصغر، فتلي منهما ما وليا منها، ويكون لهما حينئذ فضل

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه.

التقدم. ولتتذكر المرأة شفقة الأبوين وتعبهما في التربية، ليزيدها ذلك إشفاقًا لهما وحنانًا عليهما. قال حكيم رحمه الله: راع أباك يرعاك ابنك.

وإذا كان الله عزَّ وجلَّ قد أمر ببر الوالدين والإحسان إليهما، فقد نهى في الوقت نفسه عن طاعتهما إذا كانا مشركين وأمرا ابنتهما بالشرك أو بمعصية الله، فقال تعالى: ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[1]. فطاعة الوالدين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا في ترك فريضة على الأعيان، وتلزم طاعتهما في المباحات، والآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال إن كانا فقيرين، وإلانة القول والدعاء إلى الإسلام برفق ومصاحبتهما في الدنيا بما يحسن.

كذلك إذا كان الوالدان مسلمَين وأمرا ابنتهما بمعصية الله فلا يلزمها طاعتهما؛ وإذا كان لا بد من ضرب المثل لتقريب المقصود فأقول إنه في كثير من الحالات يكون الوالدان مواظبان على الصلاة وبقية أركان الإسلام ومع ذلك يأمران أو يأمر أحدهما ابنته مثلاً بعدم ارتداء الحجاب، أو بخلعه إذا كانت ترتديه؛ فهنا لا يجوز لها طاعتهما؛ لأنهما يأمران بمعصية ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ وهكذا الأمور الأخرى فلا يجوز لها أن تفعل ما حرمه الله تعالى إرضاءً لوالديها وطاعة لهما؛ لأن الطاعة إنما تكون في المعروف كما قال النبي ﷺ، أو طاعتهما في المباحات التي ليس فيها معصية لله[2].

(١) سورة لقمان، الآية: ١٥.

(٢) أرسلت امرأة تسأل سماحة الشيخ ابن باز مفتي عام السعودية - رحمه الله تعالى - فقالت: ما حكم من خالفت أمها في عدم طاعتها في حالة إذا كانت الأم تطلب شيئًا فيه معصية الله - عزَّ وجلَّ - كأن تطلب التبرج والسفور وتدعي بأن الحجاب هذا هو خرافات وليس له واقع في الدين وتطلب مني الخروج إلى الحفلات واللبس من الملابس الذي يخرج ويبرز جميع ما حرمه الله في المرأة وتغضب عندما تراني متحجبة؟ فأجاب سماحته فقال: لا طاعة للمخلوق سواء كان أبًا أو أمًا أو غيرهما في معصية الخالق. وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**» وقال ﷺ: «**لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق وهذه الأمور التي تدعو إليها أم السائلة من معاصي الله فلا تجوز طاعتها فيها**». مجلة الدعوة، العدد: ٨٧٠.

وعلى المرأة أن تعلم أن الله تعالى يعلم ما النفوس، قال تعالى: ﴿**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً**﴾[1]؛ فيعلم الله عزَّ وجلَّ ما بنفس البنت من اعتقاد الرحمة بالوالدين والحنو عليهما، أو من غير ذلك من العقوق، أو من جعلت ظاهر برهما رياء. وقال ابن جبير: يريد البادرة التي تبدر، كالفلتة والزلة، تكون من الرجل إلى أبويه أو أحدهما، لا يريد بذلك بأسًا؛ ﴿**إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ**﴾ أي صادقين في نية البر بالوالدين فإن الله يغفر البادرة، وقد وعد الله تعالى بالغفران مع شرط الصلاح والأوبة بعد الأوبة إلى طاعة الله سبحانه وتعالى.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٥.

openkandl.com

obeikandl.com

برنامج النجاح مع الوالدين

أحب العمل إلى الله بر الوالدين

- اتبعي أوامر الله ورسوله في بر والديك. - ادعي لوالديك في أدبار الصلوات.
- راعي أحوالهما في الكبر.
- خاطبيهما باحترام وتواضع وتلطف.
- تجنبي ارتكاب ما نهى الله ورسوله من عقوق الوالدين. - لا تنهريهما أو تتبرمي بهما ولو بقول: أف. - قدمي بر أمك على بر أبيك.

طرق أخرى لبر الوالدين المؤمنين

- أنفقي على والديك إذا احتاجا.
- بريهما بعد موتهما بالصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة رحمهما.
- لا تتسببي بسب والديك بسبك والدي شخص آخر.

obeikandl.com